مبارك وساط

مغموراً بأرخبيلات...

يليه

راية الهواء

مجموعتان شِعريتان

طبعة جديدة

2021

منشورات حبر

محفوفاً بأرخبيلات... يليه: راية الهواء

مجموعتان شِعْريتان

مبارك وساط

طبعة جديدة رقمية - إصدار 2021 -

منشورات حِبر

(الطبعة الأولى للمجموعتين: منشورات عُكاظ، الرّباط، 2001)

مبارك وساط

محفوفاً بأرخبيلات...

يليه

راية الهواء

طبعة جديدة

- 2021 -

I

محفوفاً بأرخبيلات

ديـبـــاجـة

بأشرعة من شرار وإلا

فبأجنحة الألم، فحسب

يُمكنني أن أُوغِل في الفجر الخفيف

حتى مصبِّ أنهارٍ

تَهدر بالأحلام.

أبــديَّــة

وكأنَّها الأبديّة

محمولةً بين مخالب نسر:

كلُّ هذا البياض

المُدَمّى

وكأنِّيَ الامتدادُ الحيّ

لزوبعةٍ

غامضةِ

النوايا

أأَلتفعُ بِحرير الشمس

وأُصيغُ السّمع

لهذا النَّدى الذي يَموء

في حِداق

الخُزامى

أأحْذُو النَّسيم

إلى مسقطِ رأسه

خلال هذا النَّهار

الأكثرِ خضرةً

من كارثة

أم أبقى في هذه الغرفة

النَّظيفة

إلا من دِماء الأحد؟

رَحــــيـل

حينَ سالتْ على جبيني

دماءُ الغَسق

اِعترتْنِي رعشةُ اللحظة العَمْياء

انسحبتْ يدايَ

مِنْ طُفولةِ الذَّهب

وبدأ وجهي يُسافر بلا كَلل

نحو مهابِّ الألم.

هـــامـشٌ لصهـــيل فنــار

هُنا، تَحت أهدابِكِ أيَّتها الرِّيح، وأنت تُفكِّـــكين دَواليبَ الظَّهـيرة، وتنثُـرين المفــاتيحَ على صَــدْر الميِّت، حيث ينضُــجُ الصَّــمت، ثم يَنسَـــلُّ ثَخينــاً إلى خياشيمنا،

تحت أهدابك، تخلَّصنا من خُطانا الفائضة عما تُحبِّذُه الطُّرقات، وَمِن الصَّدأ العالقِ بسجلَّات أنفاسنا. وَأَدْنا النَّغمات التي استخرجنا من عويل العربات، وتشمَّلْنا بنجيع الوقت. وإنْ لم نحضُرْ دفْن آخر نهار قتيل، فإنَّ أفواهنا تركتْ هامشاً لصهيل فَنارٍ يُضيءُ طريقَ المراثي.

لم نكن قط أدْعياءَ إزاءَ مشاعر العنكبـوت. نحصـدُ سـأم القمح، وبِكـوابيسِ الينبوع نغتسل. وليس بيننا من أوقع الضَّغينة في قلب الصَّبيحَة الـتي مـزَّقتْ نسيجَ سُهادِنا، نحنُ المُقْلِعينَ عن معاقرة وســواس الخيــول! وإذا السَّــنابك تجتثُّ صفير الحدائق. واللقالق تَقضـم لحم الـدّقائق. وأهـدابُنا تقـذف شرارَ اللبلاب. يَا ما صادقْنا السُّهُول المتأنقة. يا ما تأوَّد قدُّ الغواية في أروقتنـــا، بين مرايانا وخطايانا. وحتَّى حين بـدأت فراشــات نزقـة تُـربِّي في آذاننــا عواصفَ وليدة، نحن لم نيأس. نرى إلى أرضِنا الحيزبون، المُعلَّقــة من شَـــعر عانتها بأسلاك لا مرئيَّة. نتعلَّم منها الصَّبر.

أقبــل الفجـــر

أخيراً،

أقبل الفجر جريحاً، وقد حرَّرَ أجنحته من أصفاد الخُرافة.

وقتها، سال الفرَحُ، قانياً،

من أنوفنا التي ما عادت

تتعرّف علينا.

لسنا وحدنا الحيارى!

أُمسيـــة

طُول الوقت كان الموسيقيّ

يَعزف بحركاتٍ تُشبه

تمارينَ المطر

والبهلوانُ يترنَّح في الأعلى...

لم يكن أحدٌ ليرفع عقيرته

لم تكن كفٌّ لتوقظَ الأشجار

المُسرنِمة في المرايا

على جُثَتنا الطَّافية فوق لعابها

تناثرتْ بِدافع الشَّفقة

وُرود الشَّفق

وبدا الحُضور سَاهمين

فهم، لا شك، يُفكِّرون

في عذاب المذنَّبات، التي،

بعناية، تحرسهم...

أنا، أيضا، فاجأتني

لحظةَ شحوبِ الباب

كلُّ تلك الطيور التي

بدأتْ تهزج

في مُنعرجَات مصائرنا!

غَرْقــى

كثيراً ما نقضي اللَّيل

مُوَزَّعين على السَّواحل

نُداهم الأعياد المسترخية

في قواقعها

وبأجسادنا

نمسح عن الصُّخور سقمها

نروي حكايات بمكبّر الصوت

كي تلتقطها آذان الغرقى

ونقتادُ الفجر الضرير

عبر أروقة بيوتنا اللامرئية...

...ولِـنُـزَجّي الوقت

نجتلب أصابعنا الذابلة

من سهوب الأنين

ونغرز إبر الساعات

في جلد الذكرى

فتُشعُّ بوميض الألم

عيونُ الطّحالب التي تَسهر

في محاجرنا، نحن

الغرقى.

مُهمَّـــة

اِنتخبتني الليالي

لأَشْتار عسل الكواكب

المُتَدلِّية

فوق رؤوس الغواني

لِهذا، "لا أذوق النوم

إلا غِرارا".

طويلاً عِشْتُ كَما...

طويلاً عِشتُ كَما

لَو كُنت نَهراً لا يكفُّ عن

الهدير

نهراً لا يُبالي

إنْ عاشَ أو انتحر

كنتُ أقرعُ أجراس الفوضى

في الطّرقات

وأَجلسُ إلى موائد الدّوار

في مقاهٍ

تَؤمُّها البُروق...

ثُمَّ وجدتُني، ذاتَ فجر

جاءَ مُبرقَشاً بأنينه

أرْعى سِرب كوابيسَ وَرْسَاء

في سُهوب السُّهاد

وكنتُ مِن بين الفرسان

الذين نادموا ظِلالهم

على قليلٍ من الوسواس...

أمسِ مساءً

كانتْ سُحب مُشاكسة

تكسو رأسي

بِسُعال الأبالسة

وبعد أن تسلَّلْتُ خِلسةً

من بين أسنان الطَّقس

مضيتُ لِأَتيه

في الأزقّة الخلفيّة

للحياة

مَـــسرّة

جاءها مخموراً

ليسرُدَ على عينيها

نُعاسَ اليمامة التي تحيا

في صندوق من طلّ

جاءها ولم يُصدِّق

أنّه أفلت من أشراك الرَّمل

وكمائنِ المصادفات

وأنَّ خيولَ الشَّوق المُجنَّحة

التي حملتْ على صَهواتها

قُرىً عديدة

إلى مَجرَّاتٍ بعيدة

هي التي أنقذَتْه

مِنْ فَحيح المسافات

جاءها مخموراً

في عينيه هلوساتُ

السُّهْدِ والتّرحال

ومعها أقام تحت مظلّة الهديل

محفوفاً بأرخبيلات

ولم يحزنْ أبداً

لَدى سماعِهِ الأغصان الجريحة

تَلتفُّ على قلبه العاشق

هو الذي جاءها

مخموراً

نَـــارٌ غَريبـــة

إذْ تَسعل السَّاعات

مُحتقنةً بسُـــلّ قديم

ويُدمدم جدول

حاملاً جنونَه على جفونِه

يُؤجِّجُ، هو، طنينَ عظامه

ثم يرحل

مُلوِّحاً بِمناديل البراري...

أقمارُه تتلألأ على كتفيْه

ونحن نتبعه، لِنكتشف الآثِم

الذي آلمَ الغابة

الذي دلّ العدوَّ على كهف بعيد

تتحصَّن فيه ذكريات الخيول

نتبعه، لِنعثر على موطن البيلسان

المُزَنّر بدموع زرقاء...

وهو يرحل، مؤَجِّجاً طنين عِظامه

مظلّلاً بأنفاس العقبان

إنه شاعر، تخفُرُه

صيحتُه الأولى

حلمُه أن يجمعَ

من سراديب الفُصول

أسناناً جميلة

تَصْلح لأفواه

الموتى.

بــراءة

الرَّجل الذي قضى ليالي طويلة

مُوغِلاً في شُحوب الحديقة

لم يَسرِقْ نياشينَ الخُزامى

وليس من جدَع أنف الهواء

لم طاردوه إذن؟

إنه يتخفَّى الآن في مغارة

يَحرسها هتاف النَّمل

لا يغادرها إلا مُكرهاً

إلى مفاوز

يُسدل عليها الأموات

أكفاناً راعشة

لكنْ لا خوف عليه

حين يَجوع

يستطيع أن يجلس

إلى خِوان النسيم

وإذا تعقَّبته العقبان

يُمكنه أن يمتزج بالزَّبد

لا خوف عليه

لهُ خيمة

يستريح فيها حواريُّو الرّيح

حين يتعبون

حَــاشيــــة

أنفاسُ الصَّيف تتمترسُ خلف ضحكة الجبل

زَغب الضوء يتناثرُ، حُمَّى من الأَلق

قريباً مِن الهاوية الزرقاء

ثمَّة بحرٌ في سَمت ملِك

حوله حاشيةٌ من الغرقى

وجنودٌ يَخِبُّون على الثلوج

يخوضون حرباً صغيرة

ضِدَّ فيلق من النَّوايا:

بِلا مبالاة، تعبر الريح فوق المشهد.

ذِكْر مــا جرى

كانتْ مناقيرُ الدَّقائق

تنقرُ رِدف امرأة بدينة

كَلبُها الصَّغير الْتَفت

وأثنى على الهواءِ الطَّلْق:

عينُ النهار كشَّرتْ!

ذِكْر ما جرى (2)

هي ذي شمسٌ يبدو عليها الذُّبول

وأَمارات الضَّياع

ذلك أنها تتملّى

بعيونِها التي تحترق

إعصاراً يتنصَّت على بَوْح الأشجار

ويلعقُ دِماء المروج

بألسنة الذِّئاب.

كيْ لا ننــسى

يَحدثُ

إذا ابتعدَ الأعمى

مخفوراً بِهسيس الظلام

أن تنبثق من بُؤبؤيه

عصافير

بَرَّاقة

وأحياناً

إذْ تَتفتَّح عُيون الطَّلِّ

تتقمَّص أزهارٌ

شفاهَ الغواني

ومرةً

رأينا عراَّفين

يسْملون عيون النّهار

وبغامض التَّعزيم

يصنعون من الرَّمادِ

ظلاماً

ومرةً

فكَّرنا

في المصير الأسود

للطَّحالب الحَمقاء

فنما قلقٌ كثيف

بأذقان أقزامٍ

يستعبدون المستنقعات

وأجراسَ

أرواحِنا

لكنْ

يتوجَّب نقشُ هذا

على آماقِ قَوسِ قُزح

كيْ لا ننسى

أنه يَحدث

إذا ابتعد الأعمى...

كان صباحٌ...

كان صباحٌ يَجوب الشوارع

مُتملِّياً غُرفاً تَرقص في الضباب

وكنتُ هائماً أيضاً على

هَمهمة الحصى

حَواليَّ نَيازكُ فقدتْ رُشدها

إِثْرَ صَدمةٍ ما والعُشب الميّتُ

يُوجِّه سأمَه عالياً إلى فمي

والحكايةُ التي تَدِبُّ على جبيني

لم تَكنْ لترتاحَ في ظِلّ

رِياحٍ هبّتْ لتخلعَ

عن الأشجار شفاهَها

وكان الصَّباح الصّغير يمشي

رازحاً تحت صراخ

أسنانَه وأنا جنبه

أتنصّت للموسيقى الغريبة

التي تتولَّد

مِن قَلق العابرين

ريـــف

كانَ الليل، سائسُ النُّجوم الماكر، يَغتسل في بركــة من دمــاء الخيــول حين غادرتُ بيتي، موقورَ الأذنين باعترافات النبيذ.

وأنا أتملَّى المشهد، تمدَّدَ ريفٌ شاســعٌ أمــام قــدميَّ، مُجلّلاً بِصــهيلٍ مَديــد، بشقشقة غريبة. كانَ ريفَ عصافيرِ العُزلة، وضاعتْ فيــه خُطــواتي، يَبْهرهــا ضَوءُ العدم.

شفـــافيـــة

ما الذي ستتذكره من أيّامك التي خضّلتْ أرصــفة المــدُن بعــرق المــراثي؟ نهاراتٍ تنثر فضّة الجبين على موائد تُقامر من حولها الفصول. ولياليَ تَسُـــنُّ نصالها على جلد أحلامك...

وأصابعك التي أسْلمْتَ لنعيب الجــزُر. وتــتركُ نباتــاتٍ هوجــاء تجــوس في البراري المحتمية بأهدابِك، فترى في النوم أن جسدك شفّاف كمزاجٍ ينبـــوع، وأنَّ لك عظاماً من نُحاس يُنْذِر بوميض صباحاتٍ باردة على الفم.

ترى أنَّك ترشف خمرة الأسلاف من ضِرع ناقة الله!

وكنتَ تتوجّسُ من ظلِّ الرَّاعي. الراعي الذي عاش رضــيعاً في دمعــة أُمــه، وتكلَّم، وهو بعدُ في الدَّمعة... وها هو يَقذف في وجهك بعرائض اللبلاب، فيما أقزامٌ يُترعون نخاع المكان بجثث مسروقة ونيازك... ألمْ يكن هــذا كافيـــاً، فتأتيَ ريحٌ غريبة لتنشُر هوسَها على خُطاك؟

يُفاجئني المطر

على مِحفَّة الهذيان
تتمدَّد شقيقةُ الزَّبد
مُذْ صُعِقتُ ببروق جسدها
مُذ عشقتُ حدائقها المعلَّقة
بِضفائرِها
بدأ المطرُ يُفاجئني كلّما غَفَوت
لذا فأحلامي
حافلةٌ
بأقواس قُزح.

شَكْــوى

هذه السّماء ملتاثة

إنها ما تنفكّ تَلُوك

ثِمار كآبتَها

قاذفةً بالنوى

التي هي جماجمُنا المعدنيّة

في بُحيرات النّدم.

أَلَــق

الطِّفلة الغريبة التي كانت تحكي لنا
عن رِفقتها لقمرٍ وديع أَلْثَغ
والتي مضتِ البارحة لتنام
جنْب المدفــأة
قائلةً إنَّ عناكب مدربَّة
تَنسج من نُخاع الزّمن
خُمُراً لإناث الزَّواحف
مازالتْ بعدُ لَمْ تستيقظْ...
ذلك أنّها ليستْ في مكانِها
فهي تتمدّد على شاطئ بعيد...
نَمضي إليه لنرى:
ثمّة قوارب محملَّة بأمواج حوامل
والطّبيب المسؤول عن صحّة الزَّبد
ما إنْ رآنا
حتى سارع إلى التخفِّي

تحت كثافة ظلِّه...

وهي، هناك، مشدودةُ الأصابع

على وُرود الليل النَّدِية

وألسنةُ الموت تلعَق أجفانَها...

ما يلتمعُ على جسدِها

ليس برْقاً في حِداد

إنَّها الدُّموع السَّوداء لِريح

تأكلُ الطّيرُ من رأسها...

قَـرار

إنَّهن خَدينات النُّجوم، يَتهادين على نَمارِق المُحيط، لاحظ المجنون، وهـــو يُحسُّ أشجاراً تحتفل في قامته السَّعيدة، جمراً يتراقصُ، جـذِلاً، في عُروقــه... لكن سرعان ما داهمه الحزن إذ رأى ريشاً يتناثر في الفضــاء: تلــك كــانت يمامةَ روحه، التي ما إنْ ظهرتْ إلى العراء، حتى خنقتْها أصابع لا مرئية.

وتعاظمَ يأسُه وغضبه، إذ تذكَّر كيف احتجز الدُّهاة أجملَ صيحاته في مكــان مجهول، وكيف أكرهوه على أن ينقُل فوق ظهــره شُــهباً إلى مَســقط رأســها، وكيف حشدوا صُوَره من كلِّ المرايا الــتي ســبق أن رآهــا فيهــا- حشــدوها وجعلوها تتربَّصُ به في المُنعطفات... إذّاك قــرَّر أن ينظم كُريّــات دمــه في عصابات مسلَّحة، ويبعثَ بها إلى الأدغال، كي تعيد، بالعنف،

شيئاً من التّوازن

إلى رأس العالَم.

مصيــــر

تلك العذراء البهيَّة

ودموعها من حليب

كفَّاها مفتوحتان

لِضحكِ الأعشاب

وكلَّ صباح تلتقطُ مِزَق الأحلام

المُتساقطة من أجفان الكواكب

وتُخفيها في عيوننا

كلَّ مساءٍ تَكِدّ، ونحن لا نُزعجها

إنّها تضفرُ أكاليلَ غارٍ

للّذين من بيننا، خِلسةً،

سيُصلَبون.

فــي حديـــقـــة الغَلس

في حديقة الغلس، هنالك يدان تقطفان من شجرة الزّيتون عيونــاً حَـوراء. تحت ضوء النُّجوم، تنمو سريعاً أظافرُ ظِلّيْهما. وهنالك الأعمى الــذي بــدأت عظامُه تُغادره، وها هو يَنسج من الحرير ومن الألم شِباكاً ينصبها لِفراشات الليل. أثناء النّوم، وردةٌ بين أسنانه ســتُعيد تــرتيب أحلام فمــه. لكنّــه، حين يستيقظ، سيرَى. بأبصارِ خُطّاف يحمل ربيعاً تحت كلّ جناح، ســيراها: تلــكَ الأغصانُ المدمَّاة التي تنعقدُ إكليلاً على جبين الصّباح.

صُـــعود

كانت أمطارٌ، بداخل رأسه، تتهاطل.

ثم أطلّت الشمس مِن هودجها العليّ، فهرول نحو بيتـه، محـاذراً أن تـنزلقَ قدمه إلى واحدة من تلك الحُفر، حيثُ يُوجَد دائماً من يُقْعي ويَرفـو كـوابيس المياه.

في طريقه، كانتْ بضعةُ عصافير تصـلب اللصّ الـذي سـرق قلائـدَ شـجرة الحوْر، وكان جمعٌ من المُقعدين، مُمسكين بالفراشي وأوعية المراهم، يَجدُّون في شُغلهم: إنهم يُلمّعون جِلد العدم.

أنفاسُ الظَّهيرة عوسجُها كثيف. هكذا أخطأ، وعِوَض أن يصعد الـدَّرج نحـو بابه، وجد نفسه يعتلي جبلاً، حيث موتى يتعجَّبون: لِكلٍّ ميْت جثَّتان.

أعاد الكرَّة، وفي هذه المرَّة، ارتقى- لاهثاً، متوفِّزاً - سُلَّمَ ريشتر إلى أن شَعر بزلزال عنيف يَضرب خدَّه الأيمن. أحياء عديدة، في جَنبات المدينـة، دُمِّـرتْ عن آخرها. والذين فتحوا أفواهَهم، صدرت عنهم آهات معشوشبة. عيـونهم سافرت عبر تخوم السُّهاد. وخرجتْ غربانٌ من ليل قديم.

أخيراً، أخيراً، وَجد نفسه في غرفته، آسـفاً لكونـه لم يَحصـل على سـجائر، فالبائع كان قد أغلق دكَّانه، ليقومَ بمعجزات عظيمة أمـام سَـحليَّة مَهيبـة لم تُخْفِ انبهارها... أشعلَ، إذن، عشيقتَه، وطفق يُدخِّن سيجارةً خيالية.

رغبَ في تقبيل مريم، عشيقته العذراء، لكنها الآن مجرد كُومة رماد. تفــادى النحيب حتى لا يزعجَ جيرانه اللطفاء، تلك العائلة المكونة من خمسة أقواس قزح سُود (قيل إنّها جاءت من غانا).

وكما يحدثُ حين تصير أذن المرء وكراً للإجرام، فقد كان قلِقاً. لا يُمكنــه أن يبقى بين هذي الجدران التي بدأت تتخــدَّد وتتهــدّل، فالســكاكين، وســطها، تَزحف وتتلوّى كالأفاعي، والقناني الفارغة تَهبُّ مِنها رياحٌ برصاءُ، وصـــمت الكراسيّ شاسعٌ ومتلألئ مثل نوم المجانين.

ولا هو يستطيع أن يَمضي إلى الخارج، ففي هذا الوقت بالضّبط، تتحوَّل بضــعُ غيوم قططاً وحشيّة، وتسقطُ على رؤوس المارة الصُّلع.

مسَّدَ على رأسه الصَّقيل، وكان ضحكٌ في المرايا.

للشّتاء أسماؤه...

للشتاء أسماؤه السّرّية

في رُدني معطفه

تتخفّى العنادل

الهاربة من دموع العدالة

وله أيضاً بيارقُه المُرَصَّعة

بِهَيْنَمَات قوسِ قزحٍ يتيم

حين تُطِلُّ شمسُه العابثة

وَسْط سماء

تُقامر مع أسلافنا

بعظام النّوارس وفِضّة الغُيوم

وَيُلقي ضوؤُها خطبتَه التي

يسيلُ منها عرقُ الأبالسة

على آذانِ نهرٍ لنا

نَنفضُ عنا نَقْع الكآبة

نتناسى الصّباحات السّجينة

في قناني المُروج

ونَنتظر...

ننتظر أن تعودي إلى غُرَفنا

يا ملائكةً

من مياه!

صَـلِــيـل

سُيوفُ الشّتاء، بداخل رأسي

طُولَ الليل

تقرعُ كؤوسَ الليل

هكذا استُنْفِرَتْ حُشودٌ

من عظامي القديمة

طالما انتظرتْ هذا الصَّليل

للانضواء تحت لِواء

الكوارث

التي تتمنطقُ بأحلامي

لهذا، لا أستريح

خلال اعتراف المطر

قبل أن أمضي نَحو سريري

السّادر

في أرَقه الخاصّ.

رَقْصــة

أَعْدَتْني هذه الورقة
بِحُمَّاها
لا سبيل إلى الشِّفاء
مِنْ طقس هذه الأسنان
أعزَلُ أنا
حين مرّ شِهابٌ بنافذتي
لم يترك لي غير فُتاتٍ من نصائحه
ولَأْمةٍ كانتْ لأسلافه
سأتدرَّعُ بها ضِدّ كُماة الشّتاء
وأُوغِلُ في العزف
على كمنجات الغواية...
لكنْ ما الذي أفعلُهُ الآن
وقد بدأ هيكلي العظميّ
يرقصُ بجانبي
على إيقاع القُشعريرة؟

فهرس

"محفوفاً بأرخبيلات"

ديبـــاجة 4

أبـديَّـة 5

رَحـــيـل 7

هـــامـشٌ لصهـــيل فنــار 8

أقبـل الفجـــر 9

أمسيـــة 10

غرقى 11

مُهمَّـــة 14

طويلاً عِشْتُ كَما... 15

مـــسرّة 17

نـــار غريبـــة 19

بـــراءة 21

حَـــاشيـــة 23

ذِكْر مـــا جرى 24

ذِكْر ما جرى (2) 25
كيْ لا ننـسى 26
كان صباحٌ 29
ريـــف 31
شفـــافيـــة 32
يُفاجئني المطر 33
شَكوى 34
أَلَـق 35
قَـرار 37
مصيــــــر 38
فـي حديـــقـــة الغَلس 39
صـــعود 40
للشتاء أسماؤه... 42
صلـــيـل 44
رقصـــة 45

II

راية الهواء

الضّـحـك

فيما كانت دِيَكَةٌ
تَحْلِجُ صوفَ السَّحر
عبَرَ نَسيم رقيق
متلفّعاً بحرير القوافي
أما الفتنة النّائمة
في صالون للحلاقة
فقد أيقظَها شَعرُكِ
ثانيةً

ثمّ بدأتِ تركُضين
خلفَ جداولَ جاءت من بعيد
جداولَ كَشَطت بأظافرها
أهراماتٍ
عن جِلد أخناتون
ثم عادت لتسريح
في عُيون المجانين

تبتعدين

وتُغْضِين عَنّي

مثلما تتجاهل النافذةُ

الجِدار

وأنا مَصْهرٌ

لِكروم اليأس الحمراء

ناطورُ البستان الذي

يتشكّل من هَـيْـنَـمـاتِـك

تُغْضين

أنت التي دمدمتْ في ذاكرتك

طفولة المياه وغنَّتْ

حدّ أنَّكِ، طيلة ليَال،

ما كنت تتحرّكين حول رُسْغِي

أو على زَبد الفضاء

إلا سباحةً

مُتَّكئاً على جدار

من صبوات

قرب ربَابة

تنسج كسوفاتٍ

من ألياف أحلامها

أرقبُكِ وأنت تُسرْنمين

على مياه نهر

نُوِّم مغناطيسيا

وحُكِمَ عليه بالضَّحِك

مدى الحياة

وسِرْتُ نَحْوَكِ تحت أمطارٍ

مضرّجة بزرقة ولادتها

وتحت برقٍ رجيم

إلى أن، أنا نفسي،

في حِضن

الزوبعة

سَقَطْت

وكانت الزّوبعة

قد اندلعتْ حقّاً

في فنجان صغير!

مَرّت ساعاتٌ توتّر أقواسها

إِعتزلتْ آلهةٌ في أقفاص

عَبَرَتْ عربات

محمّلة بريش كثير

يدفعها رُضّع ضاحكون

ألقتْ أيكةٌ بهوامّها

على قذالي

وأنا أبذل كامل جهدي

لأغادر محبسي:

الفنجان الصّغير!

في عيني اليمنى

تلالٌ تَثْغُو

وقرب قدميَّ

الزمنُ، أشقرَ ماكراً،

يَعْرِض على السماء

غروباً مُزَيّفاً

وإذْ خفقَت، في الأعلى،

رايةُ الهواء الوحيدة

التي هي الغراب

حطّمتُ، أخيراً، أسوارَ الفنجان

وخلُصتُ من محبسي

بجراح

طفيفة!

وها قد جاءتْ نَجمةُ جبينك

التي اسمُها لمعةُ الجيرانيوم

ونادَيْــن – هي

وجراحي –

صيفاً يَغُذُّ السَّير

نادَيْــن مساءً

يَهبط بمنطاد

ولمْ يكن الظَّلام كثيفاً

حينَ بدأت أراغنُ شَعرك

تُغذّي شائعات

عن حَبَل الأرض

بأرضٍ أُخرى.

أمــام بـــاب الحُبّ

أرضٌ وهّاجة

بِعذابات الحَجر، تَرِفُّ عليها

أجنحةٌ بيضاء

خلال أصائلَ بيضاء

مِن هنالك جِئْت، ولمْ

يَكُنْ في طريقي من مُفاجآت

سوى أنَّ بِضع شُجيرات

كانتْ، أحياناً، من فَرْط الدَّهْشة

تتحوَّل إلى كمنجات

بينما عيْنُ الحلزون

تقتنص ببريقِها

ألوانَ نُمور حالِمة

أنفاسي كانت تتغلغل

في رئَــتَــي مساءٍ مُعَربد

وفي أثلام أرض المرايا

من حيث جئت، مخفوراً

بجوارحَ سبق أن سَفَّت

من طَمْي العدم...

والآن، افتحِي الباب

قبل نُضوب النَّشيد

المتصاعد من أهدابي

افتحي بسرعة

فَدَمُ اللّيل بدأ يتعفَّن

والجوارح التي تَخْفرني

والتي هي روحُ العالَم

قد تمضي لتضيع

في أدغالِ

كوكبٍ

بعيد!

الـعـيــن

الكأسُ المُترَعة بمِلْح اللّيل

تجرّعْناها

أَسْرَعَ قليلاً من الحُمّى

ثُمَّ عَيْنُكِ التي تذْرو

باروداً كثيفاً

على ألوانٍ

كانتْ لِعيَـنْـِي

ثمّة أقمارٌ

في فضاءٍ بيتنا

تنبضُ وتضخّ دماً

في شرايين الهواء

- « إنهنَّ كنَّ قلوباً ـ تقولين ـ

أيّامَ كانتْ سنابلُ الحُبّ

تُصيخُ لهذيان الشَّمس »

- « والآن،

إذْ سنرحل، فَلْتعلمِي

أنّ عيونَ المَها

هنَّ اللّواتي سيُسْعفننا

على الجِسر

الجسر الذي سنعبُرُه

أعلى قليلاً

من الحمَّى »

- « لا تَنْسَ

ما دُمنا سنرحل

أن تأخذَ السَّكاكين الذَّهَب

فثمّة في طريقنا جبلٌ صامت

يَكنزُ أنفاسَ العصافير

ويرمي المُدْلِجين العُزّل

بِأَعْين الجرائم »

- « أُنْظُري

إنها البَبَّغاوات

المُنْبَجسة من خُطاك

تُؤلّف منظومةً من خَرَز

عن صعوبات الكلام »

الرّقْصُ أسهلُ حقّاً

لكنّ قلبَ الموسيقَى

مُثْقلٌ بِمِلح الليل

والعازف؟

جاء أطبَّاءُ

مختصّون في العين

والكعب والحنجرة

فيّدُوهُ شنقُوهُ

بحبالٍ صَوْتِيّة

قدماه تتدلّيانِ تتدلّيانْ

تنقبضانِ تنبسطانْ

إنهما تُدَوْزِنَان

أوتارَ ريح الصَّـــبَا!

أكثـــر زرقـــة

لا تتركي يدك على جبين الليل

وأحلامُكِ، دفّئيها في بؤبؤيَّ

فالبردُ بدأ ينثر زَغَبه، هنا،

حول الأغصان والشِّفاه الراعشة...

أهزوجةٌ ما تتناهى إلينا، أكثرَ

زرقةً حتَّى من اللاَّمرئيّ

تقولين إنَّ ثمّة من يُغنِّي

في هذي الغابة؟

تقولين إن الغابة متبرِّجَةٌ

بذُهان السِّبَاع؟

وأقولُ لك إنَّه الشِّتاء

على أصابعك

يُحْصي ذنوب الخريف...

كوني، إذا شئت، أختاً

للسّحابة الجريحة

التي تتبعنا

وتلوّن شَعرك بذكرياتها

أَبيحي، إذا شئت، لعظامك أن تصير

أكثر زرقةً

حتَّى من اللامرئي!

لكن، خَبّريني لماذا

-حين فكرنا سويَّة

ونحنُ أمام مائدة الإفطار-

في كل تلك القُبل المنسيّة

على العتبات

انهرق نخاع الكأس

في معصمك

ثم علا صُراخٌ

في الحليب؟

بِلَــمسة من أكُفِّ النسيم...

طريقكِ إليّ مُمَوَّهةٌ بآثار مرَح الفهود، ولكنّك تتقدّمين. والمسافة التي بيننـــا، بلمسةٍ من أكفّ النسيم، تصيرُ نهراً ميّتاً. أمّــا الغــرقى فيـــه فــأحياء. وإنْ أحدُهُمْ أنْشِــبَــتْ في عُنقه الأظافر التي من فيروز، فســرعان مــا يُلفَــظُ إلى أقرب ضفّة. والكراكيّ هي التي ستمضي به ليُدْفَنَ في أجمل نجمة... هــل قلتُ لك إنِّي أنا نفسي كنت نهراً ميتاً، ثم جاءت تماسيحُ وبــدأتْ تطــوفُ حــولي، فغافلتُها ووثبتُ بقوّة، في هيئتي الآدميَّة هاته، وحملتْني ساقاي بأقصى سرعة إلى هذه المدينة، حيث أُوجَدُ بانتظارك؟ وأنتِ أنتِ، ستصِلِينَ ذات فجر يقذف من بين شفتيه موسيقيِّين أمامَ بابي، فيما السّيمفونيات التي تُقاسمني غرفتي، تشمِّرُ عن سيقانها وتقفز من النّوافذ. وستتكلمين عن الدّساكر الــتي مــررتِ بها، وتروين كيف قطعْتِ أرضَ الثُّلوج العمياء، ذات أصيل سقط خلاله الدبُّ الأكبر في الأحبولة التي نصبها له المنجّمون، وكيف جُسْتِ المُرتفعاتِ، حيث كنت أبدو لكِ، أحياناً، في مدخل كهف، أو حتَّى على قمّــة شــجرة، مــع أنّــك تعلمين تماماً أنّي هاهنا، قرب الشّعلة التي تُقــارعني الأنخــاب، وإذْ تُتعتــع، تُحاول أن تحرق أنفاسي وشَــعْــرِي. وأنا أبدو متوجّســاً، حــائراً، وأحيانــاً، أدخل معها باستماتة اليائسين، في مفاوضات

نُجْريها بداخل إحدى الجماجم.

لكنّكِ أنتِ أنتِ

طريقُكِ إليّ

تُرْعِشِينَـها

بِخطوة.

الأمطار تَحَصَّنَتْ

لَمْ تَكوني

حِينَ الطّائراتُ التي من شمع

ذابَتْ في عيونِ موتاها

حدثَ ذلك في الهجير

كُنْتُ أصطلي بنارِه

وكنتِ مقيمةً في شتائك

ومَطَرٌ جميل

يَهمي على

حَلمَتيك

ثمَّ جاءتْ إناثٌ غريباتٌ

ماجناتٌ تَقِيّات

ألهَيْنَني زمناً

عن النوم في حديقة

ولمّا، أخيراً

في حديقة نِمْتُ

أيْقَظَتْني غيومُ يَدَيْكِ
ثانيةً

وما تَأَسّفْتُ
فقد تَعَوَّدْتُ
أن يتكاثفَ الحنينُ
في أظافري
أنْ تغرَقي
في مياهِ أعْماقي

وكانَ يَحْدُثُ أنْ تتحوّلي
ريحاً مراهقة
ألَوِّحُ لك بيديّ
فَتُسْقِطينَ أوراقاً
وتهبّين في أحداق

قُلتِ: نَلْتَهي بالآلام
نَجمعُ ضوء الوَهم
بأهدابنا نتضامَن
مع دم العُصفور

كُنتُ في الهَجير
أذابَ إناثاً غريبات
سَخَّنَ ألفاظاً
فتّرَ رعشات
لكنّ اللغات
هبطتْ من أعالي الجبال
والأمطارَ تــحصَّــنَــتْ
في الخرائط

ناعمةً كانتْ لَفْظَتُك
أعيادُكِ انسكبتْ في قواريري
والمُقَل المغروسة في الثّلج
بَدَأَتْ تُزْهِر
في الثّلج

ولم نكنْ
حين غذّينا بالسّفر
السّهر الطّويل
حين وجّهنا أنْفاسَنا طلقاتٍ

إلى قلبينا

ودَلَّيْنا التماثيل

في الآبار

قُلْنا لَو المِرآة أصْبَحَتْ

صَرْخَتَها الخاصّة

لَتَحَوَّلْنا إلى لبلاب

وأبْقَينا جسدينا في السّرّ

وأنهكنا التّلال!

وإذا جاءنا البَحر

طَمَرْناه في الكتب

حتّى يُصْبحَ هديرُه

ذا أبعادٍ فلسفية

فتنسدل السّكينة

على السّواحل

وتُقيم الموسيقى

في جنون الأزهار

قبل أن أعرفَك

عَرَفتُ ومْضَ ذكرياتك

كنت قد فقدت

ميولي الاجتماعية

استبدلتُ بها أشواكا

ذات أحلام

أجراساً

تَعرف القلق والنّدم

عَدَمًا ناضِجاً

أنيقاً

يُوَشْوِشُ لي:

ستجدُ السّرّ كلّه

في انقصاف عمر سلحفاة

في انقطاع أوتار نَجْمَة

وفي وسواس الثّواني

ستكتشفُ زمنك

قَبْلَ أن تريني

سرّتْكِ لوعتي

حَدّقْتِ في انعدامي

قطفْتِ بتلات ظلامٍ

ابْــتَــعَــثْــتِــني في ضَلالة رقيقة

في أبد متثائب

في مشهدٍ أخير

في ضاحية

حيثُ كان جَسَدانا

يَعْكِسانِ الأضْداء ألواناً

فيما، أمام أقدامِنا

كانتْ جُسُورٌ كثيرةٌ

تَتَبَخَّر!

فهرس

"راية الهواء"

الضّـحـك 49

أمـام بـــاب الحـُبّ 55

الـعـيـــن 57

أكثـــر زرقـــة 60

بلمسة من أكُفِّ النسيم... 62

الأمطار تَحَصَّنَتْ 64

نبذة عن مبارك وساط :

- شاعر مغربيّ. وُلِد في 16ـ 10 ـ 1955. اشتغل بتدريس الفلسفة حتّى نهاية سنة 2005.

- صدر لهُ:

في الشِّعر:

- على دَرَج المياه العميقة (طبعة أولى: دار توبقال، الدّار البيضاء، 1990- طبعة ثانية: منشورات عكاظ، الرباط، 2001 - طبعة ثالثة، رقميّة: منشورات جِبر، 2020)،

- مَحفوفًا بأرخبيلات... (طبعة أولى: منشورات عكاظ، 2001- طبعة ثانية، رقميّة: منشورات جِبر، 2020)،

- راية الهواء (طبعة أولى: منشورات عُكاظ، 2001- طبعة ثانية، رَقميّة: منشورات جِبر، 2020)

- فراشة من هيدروجين (دار النّهضة العربيّة، بيروت، 2008ـ طبعة ثانية، رَقميّة: منشورات جِبر، 2020)

- رجلٌ يبتسم للعصافير (منشورات الجمل، بيروت-بغداد،2011ـ طبعة ثانية، رَقميّة: منشورات جِبر، 2020)

- عيونٌ طالَما سافرتْ (منشورات بيت الشِّعر في المغرب، 2017)

- أنطولوجيا شخصية (منشورات جِبر، طبعة رقمية، 2020)

- في 2010، كانت قد صدرتْ لمبارك وساط مجموعة شعرية فرنسية-عربية، عن منشورات المنار بباريس، تحت عنوان:

Un éclair dans une forêt (برق في غابة)

- في 2018، حصل مبارك وساط على جائزة سركون بولص للشِّعر ونقد الشِّعر، في دورتها الأولى.

- وصدر له، في مجال التّرجمة:

- شذراتٌ من سِفْرِ تكوينٍ منسيّ، لعبد اللطيف اللعبي (منشورات الموجة، الرّباط، 2004)،

- نادجا لأندري بريتون (منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2012)،

- التّحوّل لفرانتس كافكا (2014)،

- الأبديّة تبحث عن ساعة يد، لأندري بريتون (منشورات الجمل، 2018)...

- سوفَ تُولَد شمسٌ من أهدابك، مختارات شِعرية لجمال الدين بن شيخ (منشورات جِبر، 2020)، كتاب رقميّ.

- دمي الذي يرشو اليأس، مختارات شِعْريّة ونثريّة لمحمد خير الدّين، منشورات جِبر، 2020، كتاب رَقميّ.

يُمكن تحميل مجموعات مبارك وساط من الرابط التالي:

- تحميل مجموعات م. وساط-

أو من هذا الرابط أيضاً:

- تحميل منشورات جبر -

محفوفاً بأرخبيلات...

يليه :

راية الهواء

مجموعتان شِعريتان

طبعة جديدة 2021

مبارك وساط

